١٠ ـ الحديث العاشر:
«اكل الحلال والدعاء المستجاب

«عن ابي هريرة (رضي)، قال: قال رسول الله، ﷺ: «ان الله تعالى طيب، لايقبل إلا طيباً، وان الله امر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: يا أيها الرسل، كلوا من الطيبات . . . وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم . . . ثم ذكر الرجلَ يُطيلُ السفر، أشعثَ أغبرَ، يمدُ يديه الى السماء: يارب . . يارب . . ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام . . وغُذِّي بالحرام، فأنى يُستجاب له؟!» رواه مسلم.

٢ ـ مكانته عند أهل العلم :

* قال النووي: هذا الحديث هو أحد الاحاديث التي هي قواعد الاسلام، ومباني الاحكام، وقد جمعت منها أربعين حديثاً في جزء[١].
* وقال ابوداود: نظرت في الحديث المسند، فاذا هو أربعة آلاف حديث . . . الخ[٢].

٣ ـ شرح الحديث:

أ) البيان اللغوي:

* طيب: منزه عن كل نقص، وفي شرح مسلم: الطيب في صفة الله: المنزه عن النقائص، وهو بمعنى القدوس، واصل الطيب: الزكاة والطهارة والسلامة من

---

(١) شرح مسلم ج٧ ص ١٠٠.
(٢) انظر مكانة الحديث السادس، فهو مذكور هناك.

الخبث[1]. وقال ابن بري: الاصل فيه: انه بمعنى ضدالخبيث،ولكن قد تتسع معانيه، فيقال مثلاً: أرض طيبة: صالحة للنبات، وريح طيبة: لينة، وطعام طيب: حلال: . . وقال ابن الاثير: اكثر مايرد الطيب في الحديث: بمعنى الحلال، والخبيث بمعنى الحرام [2].

* لايقبل الاطيباً: لايقبل من الاعمال والاقوال الا ماكان خالياً من المفسدات والمحرمات [3].
* يطيل السفر: في الطاعة، كحج وجهاد ونحوهما.
* اشعث: متفرق شعر الرأس *أغبر: مغبر الوجه
* يمد يديه الى السماء: يرفعهما بالدعاء. * يارب: قائلاً: يارب
* غُذي: في حال صغره اي نشأ منذ الصغر في التغذي بالحرام.

أي شبع، وهو من الغذى ـ بالقصر، وكسر الغين، واما الغذاء فهو نفس الطعام المأكول، ويلاحظ: ان الذال في غُذي مخففة

فأنى: كيف، من أين، وهو للاستبعاد.

ب) المعنى الاجمالي:

ان الله سبحانه متصف بكل صفات الكمال، ومنزه عن كل صفات النقص والعيب، فهو لذلك لايقبل من الاعمال والاقوال والاحوال إلا ما كان طيباً وخالصاً وحلالاً، غير فاسد ولا خبيث، بهذا أمر رسله، وبهذا امر عباده المؤمنين، وعلى ذلك، فمن لم يستجب الله دعاءه، مهما كان مبالغاً في آدابه الظاهرة، اذا كان متلبساً بالمحرمات والخبائث في اكله وشربه ولبسه، وسائر احوال عيشه، فلا يلومنَّ الا نفسه، لان المنع من جهة نفسه، لا من جهة الكريم سبحانه وهو سبحانه ان استجاب له أحياناً رغم سوء حاله في ذلك، فما ذلك الا محض كرم منه.

---

(١) السابق ص ١٠٠.

(٢) عن لسان العرب، مادة «طاب».

(٣) قال ابن رجب: قيل ان المراد اعم من الكسب او الصدقة، فيشمل الاعمال والاقوال والاعتقادات والاموال، فلا يقبل من ذلك إلا ماكان طيّباً طاهراً خالصاً من المفسدات ص٢١١ج١.

٤ - بعض مايرشد اليه الحديث:

١ - * بحث علماء التربية في جميع جوانب تربية الطفل، ولكنهم اهملوا جانب غذائه، وما لهذا الغذاء من تأثير في اخلاق هذا الطفل، وفي هذا الحديث إشارة إلى اهمية تغذية الاطفال بالغذاء الحلال، المكتسب بالطرق الشرعية.

٢ - * الله سبحانه يحب مقتضى أسمائه وصفاته الحسنى، وهذا جانب تربوي وروحي عظيم، كثيراً ما نغفل عنه، حين نقرأ عن اسماء الله وصفاته، وحين نعتقد بها كركن اساسي في الايمان بالله تعالى، واذا كان الناس يطلبون المثل الاعلى لسلوكهم في صفات عظمائهم، فنحن «المسلمين» ، مثلنا الأعلى نستمده من معاني وأنوار هذه الاسماء بالاضافة الى القدوة الحسنة التي تجسدت فيها اكمل وامثل تجليات هذه الاسماء، وهي سنة الحبيب المصطفى ﷺ وسيرته، ومن هنا كثر الاعتماد على هذا الاسلوب في التوجيه النبوي: ان الله رفيق يحب الرفق، وان الله نظيف يحب النظافة، وان الله جواد يحب الجود ، وان الله جميل يحب الجمال، وان الله قد اشتق من اسمه «الرحمن، الرحيم» اسما للرحم، لتأكيد اهمية صلة الارحام، ومن هنا أيضاً قرن الثناء على الله بالدعاء، بل كان خير الدعاء، ومفتاح الاجابة، وشرع التوسل باسمائه سبحانه: «ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها» الاية[1].

٣ - * لايجوز التصدق بالمال الخبيث، كما ورد في حديث صحيح: «لايقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول»، وعن ابن عباس (رضي): لايقبل الله صلاة امريء في جوفه حرام.[2]

٤ - * من اعظم ما يحصل به طيب الاعمال للمؤمن من طيب مطعمه، اي ان الطعام الطيب يؤثر في الاعمال.

٥ - * لايقبل العمل ولا يزكو الا باكل الحلال، وان اكل الحرام يفسد العمل[3].

---

(١) سورة الاعراف/ آية ١٨٠.

(٢) السابق ص ٢١٤

واما الحديث، فقد اخرجه مسلم/ السابق ص ٢١٥، وفي حديث آخر: من كسب مالا حراماً فتصدق به، لم يكن له فيه أجر، وكان إصره عليه»، اخرجه ابن حبان في صحيحه، وقيل هو موقوف على ابي هريرة/ السابق ص ٢١٦. (٣) جامع العلوم ج١ ص ٢١٢.

٦ ـ * للدعاء المستجاب آداب تنبغي مراعاتها، ومنها: ١ـ اظهار الانكسار، المعبر عنه في الحديث بطول السفر.

٢ ـ التبذل في اللباس والهيئة، ومن ذلك ما يشرع في صلاة الاستسقاء من قلب الأردية.

٣ ـ رفع اليدين الى السماء، وقد فعل النبيﷺ ذلك في مواطن منها معركة بدر، وكان يرفع يديه حتى يرى بياض أبطيه ـ من المبالغة ـ واختلف، هل يجعل بطن كف يده الى الاسفل ام الى الاعلى، وقد ورد في كل منهما نصوص.

٤ ـ الالحاح على الله تعالى والتكرار ٥ ـ التوسل باسمائه الحسنى، وبخاصة «اسم الرب» فقد اقترن بالدعاء في القرآن كثيراً، بل لم يدع سبحانه الا به ـ اي في القرآن[1].

٧ ـ * مما يمنع استجابة الدعاء: ١ ـ التوسع في الحرام، أكلاً ولبساً وشرباً. ٢ ـ ارتكاب المحرمات ٣ ـ ترك الواجبات، فقد ورد عن السلف: لاتستبطيء الاجابة، وقد سددت طرقها بالمعاصي.[2].

٨ ـ * الطيب ما طيبه الشرع: أي حكم بطيبه، وليس ما تستلذه النفوس، وتستحسنه العقول.

٩ ـ * يستحب التوسل الى الله تعالى بالعمل الصالح، قبل الدعاء، الى جانب تحري الحلال الطيب في المطعم والملبس والمشرب.

١٠ـ * لايقبل على الحرام ويستطيبه إلا من كان خبيث النفس، ومن مقتضيات ذلك كذلك: ان من اقبل على الحرام وتوسع فيه، صار خبيث النفس، فاسد الذوق، لايميز حلالا من حرام ولا طيبا من خبيث، فللمطعوم تأثير في سلوك الطاعم كما ذكر اهل العلم والتجربة، وكما يشهد لذلك الواقع،

---

(١) انظر آداب الدعاء في كتب المواعظ والرقائق، وبخاصة كتاب الاحياء، فقد ذكر عشرة منها، وافرد النووي في الاذكار بابا لذلك ص ٣٥٣.

(٢) جامع العلوم ص ٢٢٨ وهناك موانع اخرى لاجابة الدعاء، منها: ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما ورد في حديث: «... مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا اجيب لكم»، قبسات من الرسول ص٥٣، ومنها ان لا يكون في الدعاء اثم او قطيعة رحم كما في احاديث صحيحة/ راجع الاتحافات ص ٢٥.

ولعل ذلك بعض اسرار تحريم لحم الخنزير.

١١ـ يكره التصدق بالرديء من الطعام، او بما فيه شبهة

١٢ـ كما انه سبحانه لايقبل من المال الا الطيب، فكذلك لايقبل من العمل الا الطيب الخالص من الرياء.

١٣ـ اشار ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ الى معنى دقيق في الحديث، وهو: الاهتمام بكسب الرزق من حلال، وجعل ذلك متمماً للعمل الصالح، ومن مستلزماته الضرورية، قال: والعمل الصالح لايمكن الا بأكل وشرب ولباس وما يحتاج اليه من سكن ومركب وسلاح وكتب، وغير ذلك مما لا يتم الواجب الابه[١].

١٤ـ قد يفهم من الحديث: كراهية الاسراف في المطاعم والمشارب والملابس . . الخ المتع.

٥ ـ بعض تطبيقات الحديث:

* روي ان عيسى عليه السلام، كان يأكل من غزل أمه[٢]

* قال ابن المبارك: لأنْ اردّ درهما من شبهة أحبّ إليَّ من ان اتصدق بستمائة الف.

* وقال القشيري: كان يحيى بن معاذ يقول: كيف ادعوك وانا عاص ، وكيف لا ادعوك وانت كريم!؟»[٣].

* من الوصايا الاكبرية: عليك بالورع في النطق، كما تتورع في المأكل والمشرب، والورع عبارة عن اجتناب الحرام والشبهات[٤].

* عن انس (رضي): انه ﷺ مر بتمرة بالطريق، فقال: لولا ان تكون من الصدقة لاكلتها[٥].

---

(١) الرسائل الكبرى ج٢ ص ٤١.

(٢) في لسان العرب «مادة طاب». (٣) الاذكار ص٣٥٣.

(٤) الوصايا ص ٧٢، ٧٣.

(٥) شرح مسلم ج٧ ص ١٧٧.

* حديث: «ليأتين على الناس زمان، لا يبالي المرء بما أخذ من المال، أمن حلال ام من حرام»[1].
* تقيأ ابو بكر (رضي) كل شيء في بطنه من أكلة مشبوهة، وهي طعام من غلامه كان قد حصل عليه بالكهانة في الجاهلية... الخ[2].
* قال سهل بن عبد الله التستري، من ائمة الصوفية: مذهبنا مبني على ثلاثة أصول: الاقتداء بالنبي ﷺ، والاكل من الحلال واخلاص النية... وقد سبق ذكره.
* قال الغزالي «رحمه الله تعالى»: اعلم ان الحرام كله خبيث، لكن بعضه اخبث من بعض، والحلال كله طيب، وبعضه اطيب من بعض[3].
* قصة الثلاثة الذين لجأوا إلى الغار، وسد عليهم بابه، فتوسلوا باعمالهم الصالحه، وهي مذكورة في الصحيح، وقد اجيب دعاؤهم بهذا التوسل.
* قيل لسعد بن ابي وقاص (رضي): كيف تستجاب دعوتك من بين أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: ما رفعت الى فمي لقمة إلا انا عالم من أين مجيئها ومن اين خرجت[4].
* وقال ابو عبد الله الناجي الزاهد رحمه الله،: خمس خصال بها تمام العمل: الايمان بمعرفة الله عز وجل، ومعرفة الحق، واخلاص العمل لله، والعمل على السنة، واكل الحلال، فإن فقدت واحدة لم يرتفع العمل[5].
* قال وهب بن الورد: لو قمت مقام هذه السارية، لم ينفعك شيء حتى تنظر ما يدخل في بطنك حلال او حرام[6].
* قال ابن عطاء الله: لا تطالب ربك بتأخر مطلبك، ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك»[7].
* قال القشيري: من شرائط استجابة الدعاء: ان يكون مطعمه حلالاً، كما قال

---

(١) البخاري/ نقلاً عن كتاب تمييز الطيب من الخبيث ١٣٨ حرف اللام.
(٢) الترغيب ج٢ ص٥٥٩.
(٣) التهذيب ج١ ص٢٢١.
(٤) جامع العلوم ص ٢٢٧.
(٥) السابق ص ٢١٥. (٦) السابق ٢١٥.
(٧) الحكم العطائية ص ٢٤.

ﷺ لسعد: أطب كسبك تستجب دعوتك[1].

* وقال ابن عطاء الله: ما الشأن وجود الطلب، انما الشأن ان تُرزق حسن الادب[2].

٦ ـ مناقشة عامة حول الحديث :

س١) أذكر أربعة أسباب لعدم قبول اجابة الدعاء؟.

س٢) اذكر أربعة آداب لقبول الدعاء، مما ورد في الحديث؟.

س٣) لماذا خوطب سيدنا محمد ﷺ وهو شخص واحد، بخطاب الرسل: يا أيها الرسل...

جـ٣) للاشعار: بان الرسل وأممهم جميعاً مأمورون بالأكل من الطيبات، ولذا فما من نبي إلا وكان له حرفة، تجارة أو نجارة أو رعى غنم أو صناعة الدروع، وقد مرّ أن عيسى(ع)، كان يأكل من غزل أمّه.

س٤) من المقصود بقوله تعالى : يا أيها الرسل، بعد فوات عصرهم جـ٤) اي انه سبحانه خاطب كلاً منهم على حدة في زمنه، وأمره بالاكل من الطيبات.

س٥) ماذا تستنتج من ترتيب الأوامر في الآية: كلوا واعملوا ح٥) ان العمل الصالح لابد ان يكون مسبوقاً بأكل الحلال، وكأن ذلك شرط لقبول العمل، وقد شرطه البعض[3].

س٦) ما المقصود من ذكر هذه الصفات: اشعث، اغبر... جـ٦) بيان ان هذه الحالات دالة على غاية استحقاق الاجابة، ومع هذا تخلفت، فما بالك اذا لم توجد هذه الصفات.

س٧) هل يفهم من الحديث: ان الدعاء لا يُستجاب البتة ممن هذا شأنه في اكله

---

(١) الرسالة القشيرية ص ١٢٠.

(٢) الحكم العطائية ص ٢٨. وانظر أيضاً ص٣، لا يكن تأخر أمد العطاء مع الالحاح في الدعاء موجباً لياسك، فهو ضمن لك الاجابة فيما يختاره لك، لا فيما تختاره لنفسك وفي الوقت الذي يريد، لافي الوقت الذي تريد/ الحكم ص ٣/ الباب الاول.

(٣) شرح الاربعين للشرنوبي ص ١٧.

وشربه ؟

جـ٧) الحديث، كما قال ابن رجب: ليس صريحاً في استحالة الاستجابة ومنعها بالكلية. وقد يوجد ما يمنع الموانع ، إما من جهة لطف المولى سبحانه، وإما بفعل طاعات مخفية، والى هذا اللطف الالهي، كانت الاشارة في قول: يحيى بن معاذ الرازي: كيف ادعوك وانا عاصٍ ، وكيف لا ادعوك وانت كريم؟! [1].

س٨) ما علاقة قوله: ثم ذكر الرجل، بما قبله ؟

جـ٨) هو مثال لا ستبعاد قبول الاعمال، ومن ذلك الدعاء، مع التلبس بهذه المحرمات.

س٩) هل يسقط الفرض من الذمة، اذا كان بالمال الحرام، كما لو حج او تصدق بمال خبيث ؟

جـ٩) حدد ابن رجب للقبول معاني ثلاثة:

١ ـ الرضا بالعمل ومدح فاعله.

٢ ـ حصول الاجر عليه..

٣ ـ سقوط الفرض من الذمة، ثم قال: والمراد ـ اي من عدم قبول العمل كما ورد في احاديث وفي اقوال العلماء ـ: نفي القبول بالمعنى الاول او الثاني، وهو ايضا المراد من قوله تعالى «انما يتقبل الله من المتقين»، ومعنى هذا، ان الفرض يسقط من الذمه [2].

س١٠) اذا وجد في يد الرجل مال حرام، فماذا يفعل به ؟

ج١٠) الصحيح الراجح: ان يتصدق به، لأن اتلافه، كما أراد الفضيل بن عياض، ليس مقبولاً على كل حال، بل قال ابن رجب : انه منهي عنه [3]، وارصاده ابداً «اي حفظه حتى يظهر مستحقه» كما ذهب الى ذلك الشافعي رحمه الله، تعريض له للتلف، واستيلاء الظلمة عليه، ثم انه لا ينوي

---

(١) الاذكار ص ٣٥٣.

(٢) جامع العلوم ص٢١٤.

(٣) يشير بذلك إلى حديث... وكره لكم: قيل وقال.. وإضاعة المال» مع ان هذا غير ذاك، وقد ثبت انه ﷺ لم يجز تخليل الخمر بعد تحريمها مع انها لأيتام.

بالتصدق به: القربة عن نفسه، وانما التصدق به عن صاحبه؛ هذا اذا عجز عن رده إليه، وإلى ورثته، اما ان قصد بها عن نفسه، فيأثم لتصرفه في مال غيره بغير اذنه، وهذا هو معنى ما في الاحاديث التي تنفر عن الصدقة بالحرام [1].

س١١) ما علاقة، قوله: ثم ذكر، بما قبله؟

ج١١) إنها بمثابة تفصيل وتمثيل بعد اجمال، فإذا كان لا يقبل إلا طيباً، فكيف يقبل دعاء من هذه حالُه؟!

س١٢) ما حكم ما يأخذه الوالي اثناء ولايته من اموال، ظلما، ثم يتوب، ثم يفعل طاعات واجبة، كحج وصدقة وعتق؟

ج١٢) قال ابن عباس (رضي: الخبيث لا يكفر الخبيث، ومثل ذلك قال ابن مسعود (رضي، وقال الحسن البصري: ايهاالمتصدق على المسكين ترحمه، **ارحم من ظلمت**[2].

س١٣) بأي أحاديث الاربعين يرتبط هذا الحديث ؟ جـ١٣) بحديث الحلال بيِّن، من جهة ان اتقاء الشبهات مطلوب فكيف الحرام؟ ومن جهة: ان الحرام كله خبيث، والحلال كله طيب، وبحديث: الأمر والنهي، كما هو واضح:

---

(١) جامع العلوم ج١ ص ٢١٧-٢٢١...

(٢) السابق ص ٢١٦، ٢١٧.